

اصالة الفكر العربي في العلوم الإنسانية

فكرة الكونية وجدلية التقليد اليوناني في الفلسفة العربية.

**The originality of Arab thought in the human sciences****The idea of universality and the dialectic of the Greek tradition in Arab philosophy.**

الإسم الكامل للمؤلف الأول أحمد دحماني\*

جامعة أحمد زبانة غليزان (الجزائر)

[ahmad.dhm@gmail.com](mailto:ahmad.dhm@gmail.com)

تاريخ القبول: 2025/01/09

تاريخ الاستلام: 02./جوان./2023.

**الملخص:** إن القول بفكرة الكونية في الفلسفة هو اختزال لكل فكر أصيل نابع من ثقافة متفردة في خصائصها الدينية

واللغوية وعاداتها وتقاليدها الاجتماعية، ومعلوم أنّ الفكر العربي في ميلاده والفلسفة العربية على وجه التحديد هي أصيلة في منشئها، لا يمكننا الجزم بأن تكون تبعا لفلسفة واحدة أوجدتها نهضة إغريقية مركزية، أي تعميم التفكير اليوناني ومنحه طابعا كونيا طاغيا على كل تفكير فلسفي، إذ هو إكراه وإلزام يخالف مبدأ التفلسف الذي هو في واقعه مرهون بضرورة ارتباطه بسياق تاريخي ولغوي واجتماعي خاص. وقد أثبت علماء الاسلام منذ نشأة الفكر العربي أن لهم قول ومنهج في تاريخ العلوم والتصنيف فيها بما في ذلك الحكمة والفلسفة التي هي نابعة من أصالة دينية تدعوا إلى التأمل وتمجيد العقل والتدبر، فابتكروا فكرا فلسفيا أصيلا نابعاً من عقلانية عربية، ولغن سلمنا بأن المحاكاة للتراث اليوناني عبر حركة الترجمة ونقل العلوم قد استأنست به الفلسفة العربية واقتبست من دروس المنطق الأرسطي لكنها توسلت بالعقل فكان طريقها للابتكار والابداع فنفت بذلك كل فكرة مركزية كونية كما صنعت التميز والاختلاف بينها وبين فلسفات علمية لما تضمنته من خصائص وصفات وطروحات، هذا موضوع مداخلتنا وهوما نروم البحث فيه ومساءلته.

**كلمات مفتاحية:** فلسفة، كونية، دين، حكمة، عربية، يونانية، تنوير، نهضة.**Abstract:**

To say that the idea of universality in philosophy is a shortcut for any original thought that comes from a culture that is unique in its religious and linguistic characteristics, customs and social traditions.

We know that Arab thought at birth and Arab philosophy in particular are authentic in its origin, we cannot say with certainty that it will be according to a philosophy created by a central Greek renaissance, that is, the generalization of Greek thought and give it a cosmic character that dominates all philosophical thought, For it is a coercion and an obligation that violates the principle of philosophizing, which is in fact subject to the need to relate it to a particular historical, linguistic and social context.

Since the beginning of Arab thought, Islamic scholars have proven that they have a saying and a method in the history of science and a classification in it, including wisdom and philosophy, which derives from religious originality that calls for reflection and glorification of reason and contemplation. They therefore created an original philosophical thought derived from Arab rationality, and although we accept that the simulation of the Greek heritage through the movement of translation and transfer of science was domesticated by Arab philosophy and quoted from the lessons of Aristotelian logic, but it begged the mind, So his path was towards innovation and creativity, So he denied any cosmic central idea. He also made a distinction and difference between it and global philosophies because of the characteristics, qualities and proposals it contained, this is the purpose of our intervention and this is what we aim to discuss and question.

**Keywords:** philosophy, universalism, religion, wisdom, Arabic, Greek, Enlightenment, renaissance.**مقدمة:**

لم يكن للباحثين في تاريخ العلوم الاعتقاد أن عجلة الحضارة في حركة مستمرة ولا يمكن الجزم بوقوفها في مكان واحد؛ فبعدها كانت اليونان منشأ الفكر وعرف ذلك الاقليم بالبطولة الفكرية منبثقة منه أول نظرة علمية وكان للفلسفة في أول ظهورها عند اليونان حتى عرف رجالها (بأساتذة الفكر الانساني ورواده)<sup>1</sup>، لقد كان من المفارقات ان تتحرك عجلة الحضارة والفكر من جديد و تستقر في جزيرة العرب حيث يعيش شعب متشتت في بوادي الصحراء الشاسعة يتقطعهم شظف العيش، حتى أشرق فيهم دين جديد صنع منهم روادا للعلوم بمختلف فروعها في أكمل صورة بلغتهم و منهجهم لما اختصوا به من رسالة سماوية وقرآن عربي مبين دفع بهم قدما للسيادة فشاركوا الانسان في مصيره وأناروا الانسانية واسسوا أعمدة الحكمة والفلسفة وكانت لهم ورؤية علمية راقية مبنية على أساس قويم ومنهج متماسك، نابع من أصالة دينية فشق العرب بذلك طريق الابداع والابتكار في نفي لكل نظرة مركزية تجعل من التفكير اليوناني شامل لكل فلسفات ومنحه طابعا كونيا طاغيا على كل تفكير فلسفي.

فليس هناك كلمة أخيرة لتلك المجهودات العظيمة في تاريخ التفكير الانساني " بل إنَّ عدم وجود حالة الانتهاء يدع المجال فسيحا للأجيال المقبلة لمواصلة البحث الذي لا ينقطع"<sup>2</sup> فقد أخذ العرب على عاتقهم ترجمة أكثر المؤلفات الاغريقية في العلم فعلى مر الزمن صار لديهم ترجمات لمؤلفات جالينوس في الطب، والاصول لإقليدس في الهندسة، وكتاب بطليموس الخالد في الفلك وهو المعروف بالمجسطي ومعرفة هذه المؤلفات وغيرها حرَّك اهتمام المسلمين بالعلم فقانون ابن سينا ظل يستعمل في جامعات أوروبا على أنه الكتاب المدرسي في الطب إلى أواخر القرن السابع عشر وابن الهيثم في البصريات والبيروني في الهندسة، وربما كانت الكيمياء من بين العلوم جميعا التي هي مدينة للعرب بأوفى قسط والفضل في ذلك لجابر بن حيان الملقب بأبي الكيمياء العلمية<sup>3</sup>.

فمظاهر التفلسف في الحضارة العربية الاسلامية وما الكونية في الفلسفة، وإلى أي مدى ساهمت الفلسفة الاغريقية في ميلاد التفلسف الاسلامي الذي ابتداء في أوله محاكاة للموروث اليوناني ثم استوى منهجه و تفرّد حتى أثّرت إشكالية الابداع و الاتباع في الفكر العربي خاصة وأن الميزة التي وسم بها التفكير العربي ومنطق العلوم عندهم نابع من الديانة الاسلامية السماوية ومن القرآن الكريم المعجزة الخالدة الذي يحث على الحكمة و التدبر والذي حفظ وعاء العربية وجعل منها لغة تكتسي من القداسة و من الاعجاز و الكمال ما يؤهلها لأن تصنف فيها مختلف العلوم و تدون بها وبأساليبها.

فقد بسطت لغة القرآن الكريم لمفكري الاسلام منهجا للبحث متفردا وسبيلا ناصع الوضوح (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله أنا ومن اتبعن) -الاعراف:15- وهذا ما كان غائبا عن أساتذة الفكر الانساني ورواده أي الاغريق " الذين لم يتوصلوا إلى نظرية في الدين متكاملة، ولم يعرفوا نعمة الوحي، فكان التشاؤم ديدنهم، وأمضتهم فكرة قصر الحياة وفناء

<sup>1</sup> -ينظر سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام، دار المعارف، القاهرة، ج1، ص29.

<sup>2</sup> -أ.وولف، عرض تاريخي للفلسفة والعلم، ترجمة محمد عبد الواحد خلاف، دار آفاق القاهرة، ط1، 2017، ص12.

<sup>3</sup> -نفسه، ص45-57.

الفردانية، فكان الدين اليوناني في مجموعه ديناً مختلاً وأساطير غامضة وتصورات مريضة<sup>4</sup> ناهيك عن تصورات أخرى كانوا يربطونها باللوغوس الذي شغلوا به العقول والاذهان لأنهم كانوا منطقة أقوياء، وأحياناً إلى تصورات ميتافيزيقية، وهذا هو الاطار النظري لمداخلتنا في محاولة منا لمناقشة هذه الأفكار ضمن عناصر متنوعة.

## 1. فلسفة الكونية وفكرة الكونية:

معلوم أن الفلسفة كلمة إغريقية تعني حب الحكمة (philo-sophie)، لكن نجد في تعريف ماهيتها اختلافاً بين الفلاسفة القدامى والمحدثين من جهة و فلاسفة الغرب و الاسلام من جهة ثانية ن لعل من ابرز التعريفات ما ذهب إليه الفلاسفة الاوائل فهي عند أرسطو معرفة عقلية ن وعلم بالمعنى الكلي تبحث في الموجود بما هو موجود<sup>5</sup>، و استقرت عند فلاسفة المسلمين بأنها: العلم الباحث عن أحوال الموجود المطلق أو بعبارة أخرى العلم الدارس للأحوال العامة للوجود<sup>6</sup>، أما في اصطلاح الفلاسفة الغربيين فقد رأى كل من ديكارت و هوسرل أن الفلسفة طريقة خاصة من طرائق التفكير يلتزم الانسان فيها النظر الكلي إلى الكون وعلاقته به<sup>7</sup>.

فالفلسفة يمكننا تحديد ماهيتها بتعبيرات مختلفة، فيمكن القول بأنها بحث حر حول الله والكون والحياة ومطلق الوجود بهدف الوصول إلى الحقيقة، وذلك بصورة موضوعية وبمجردة عن الميول والعواطف والخلفيات المسبقة، ومن هذا المنطلق فإن الفلسفة هي مفتاح العلم بحقائق الاشياء وينتج عنها العلم بالموجودات بما هي موجودة، كما أنها تؤدي إلى صيرورة الانسان عالماً عقلياً مضاهياً للعالم العيني<sup>8</sup>.

معلوم أن التفكير الفلسفي المنظم قد نشأ في بلاد اليونان في أواخر القرن السابع قبل الميلاد ولهذا تنسب الفلسفة إليهم، وإن كانت جذور التفكير الفلسفي تعود بحسب بعض الفلاسفة البارزين أمثال إميل برييه إلى التراث الشرقي القديم من أمثال المصريين القدامى والبابليين والصينيين والهنود والفرس الذين سبقوا اليونان في خلق حضارات دينية وعلمية راقية<sup>9</sup>.

وقد انتقلت هذه المعارف إلى المسلمين بعدما نشطت حركة الترجمة وتحديدًا في زمن المنصور والرشد والمأمون في القرن الثاني الهجري وذلك عبر حركو فكرية ناشطة في ترجمة وتعريب كتب اليونان بواسطة مدارس الرها وحران وغيرها والتي كانت تتلقى الدعم والتأييد المطلق من طرف الخلفاء فنشأ تقدماً في العلوم والفنون وحدثت تفاعلات معرفية كان من ثمارها نشأة ما يعرف اليوم بالفلسفة الاسلامية فكانت أسباب وراذلة ازدهار هذه الحركة المعرفية و عوامل مختلفة سياسية و اجتماعية و دينية، ولعل من العوامل الدينية دعوة ديننا الحنيف إلى طلب العلم و الحث عليه و الترغيب فيه كما جاء في النصوص القرآنية و الأحاديث النبوية المتعددة تأيد هذا السبب فالدين بطبيعته يحتاج على بعض العلوم كالرياضيات

<sup>4</sup> - سامي النشار، نفسه ص 29.

<sup>5</sup> - أرسطوطاليس، مابعد الطبيعة، دار البنايعة دمشق، 2008، مقالة 6، 121.

<sup>6</sup> - يزيد محمد تقي، المنهج الجديد في تعليم الفلسفة، دار التعارف بيروت 2007، ص 81.

<sup>7</sup> - فضل الله هادي المدخل إلى الفلسفة، دار المواسم، بيروت، 2004، ص 23.

<sup>8</sup> - الصدر رضا، الفلسفة العليا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1986، ص 22.

<sup>9</sup> - علي طالب، أضواء في طريق الفلسفة، إطلالة عامة على مسيرة التفكير الفلسفي منذ بداياته حتى نهاية العصر الوسيط، دار الولاية بيروت، لبنان، ط 1، 2017، ص 92.

لاحتساب الزكاة و تقسيم الارض على المستحقين، والجغرافيا لمعرفة الاتجاه نحو القبلة و مواقيت الصلاة والصيام والفطر، والحاجة إلى الفلسفة أيضا وعلم الكلام لإقامة البراهين على وجود الله ووحديته واليمان بالنبوة واليوم الآخر، والرد على شبهات الملحدين من خلال الدليل العقلي السليم. فازدهرت العلوم وكانت حركة التأليف في أوج قوتها و ما حركة الترجمة إلا شغف و استزادة للعلم و التعرف على الموروث الحضاري لأمم أخرى غير الاسلامية .

من هذا المنطلق جاءت فكرة البحث و هي الغلو والتشدد للموروث اليوناني و منحه هذه الصبغة الكونية الطاغية على كل تفكير و الانتقاص من قيمة الفكر العربي و ما أضافه للإنسانية من علوم مختلفة و تدوين و ابتكار و الفلسفة هي إحدى هذه العلوم

لكن مصطلح الفلسفة الكونية له مفهوم آخر بمعنى تابع للفيلسوف الكوني، لا الفيلسوف العادي الذي يكفي بقبول المفاهيم التي تمنح له مقتصرًا على إعادة إنتاجها وصقلها و إعادة بريقتها ربما بلون آخر مع تغيير طفيف أو تقديم و تأخير بسيط، لكن الكوني هو الذي يبدأ بصنعها وإبداعها في عقله الباطن، والفيلسوف العادي عليه أن يحتاط عند استخدامه للمنتوجات الكونية لصياغتها وصقلها لأنه لم يبتكرها بنفسه.

أما مصطلح الكوني في البحث المقصود به احقية كل ثقافة كيفما كانت أن تدعي لنفسها نصيبها في هذه الحضارة الانسانية العالمية دون أن تزعم الهيمنة على الثقافات الأخرى أو كما يرى جيرار ليكر: " ولدت الفلسفة في اليونان فهي كونية و الرياضيات أيضا يونانية بالولادة لكنها علمية بمشروعيتها، إن الفلسفة شأن العلم هي ذلك الجزء من الثقافة الذي يتجاوز الحضارة التي أنتجتها... إن الفلسفة تظهر كونيتها عبر التجدد المستمر والثابت لتساؤلها و استفهامها"<sup>10</sup>

## 2. تقاطع الفلسفة بالدين وميلاد الفلسفة الاسلامية:

مما لا شك فيه أنّ التفكير الفلسفي المنظم كان على يد فلاسفة اليونان الذين تناولوا قضايا كبرى للفلسفة مثل العالم و النفس والطبيعة والألوهية والاخلاق وناقشوها بأسلوبهم المنطقي القائم على الحجج والبراهين العقلية وفق قانونهم الأزلي اللوغوس (LOGOS) الذي ينظم سائر الظواهر ولا يمكن لأي قضية أن تخرج عن دائرة هذا القانون، لكن ظهور الأديان السماوية الكبرى اليهودية والمسيحية والاسلام جعل من الضروري أن تتم المواجهة المباشرة بين الفلسفة وهذه الأديان لاسيما إذا كانت معالجة الفلاسفة تتعد عن الطرح الطيني والاختلاف بينهما في المنهج و الغاية حيث أن الفلسفة تعتمد على التفسير العقلي والدين يستند إلى الدليل النقلي، كما أنّ معيار الصواب عند الفيلسوف يقوم على أساس عدم التناقض المنطقي أي أنه يستند إلى المبادئ الأساسية للمنطق العقلي، على نقيض الدين الذي يحكمه الايمان المطلق بصدق الوحي و التصديق بالرسالات.

<sup>10</sup> -جيرار ليكلرك، العولمة الثقافية الحضارات على المحك، ترجمة جورج كتورة، دار الكتاب الجديد المتحدة بيروت لبنان، ط1، أيلول سبتمبر 2004، ص334-335.

فكان لابد من حتمية المواجهة بين الفلسفة والدين وتكون هذه المواجهة إما تعارضا أو تزاوجا أو تأثيرا أو تأثرا وهو ما فسح المجال لميلاد فكر فلسفي جديد ، فقضايا الفلسفة نجدها قد طرحت في الديانات السماوية فكان من الضروري الا ينفصل الدين عن الفلسفة أو يسيران في حياد دون أدنى محاولة للالتقاء أو التفاعل<sup>11</sup>.

فكان هذا من اسباب ميلاد علم الكلام المسيحي وعلم الكلام الاسلامي ويأخذ صورا مختلفة في تناول الادلة العقلية والنقلية أي بين مسلمات العقل و مسلمات الوحي والعقيدة، وكان للفلسفة الاسلامية نصيب في عرض هذه القضايا بعدما استوعب المتكلمون الجدل والمنطق والذي يعود منشأه للفلسفة اليونانية و إسقاطه على قضايا الاسلام العقائدية فكان منشأ الملل والنحل المختلفة بعد تشرب المتكلمون الجدل وفعل التفلسف والمنهج العقلي في التفسير في الافصاح عن مواقفهم المذهبية.

لقد اختلفت الآراء حول الفلسفة الاسلامية ومنزلتها من الفكر الفلسفي الانساني بين من يجعلها استمرار للحركة الفلسفية عند اليونان وبين من يجعلها انتاج عقلي اصيل، فمعلوم أن الصورة الأولى للمسلمين عند ظهور الاسلام كانت قائمة على الفطرة ورافضة لكل دعاوي التفلسف والمنطق وهو ما ذهب إليه طائفة من المؤرخين في أنّ المسلمين لم تكن لهم فلسفة خاصة بهم، ولا شك أنّ هذا الفريق المنكر لأصالة الفلسفة الاسلامية هم الذين تشددوا للفكر اليوناني و فلسفته التي سدّت منافذ الابداع في نظرهم بعدما اكتملت رؤيتهم في تفسير الكون والانسان، أما دور المسمين فهو نقل للعلم الفلسفي اليوناني إلى العربية بدون تحليل أو تحوير أو معارضة جدية، فتكون الفلسفة الاسلامية هي بعينها فلسفة اليونان كتبت بلغة عربية وبذلك ينتفي أن يكون للمسلمين أي فضل في المشاركة في تكوين هذا التراث الفلسفي أي إنكار أن يكون للعرب أو المسلمين إنتاج فلسفي ذو أصالة و ابتكار<sup>12</sup>.

### 3. فلسفة عربية أم إسلامية:

إن الحديث عن تاريخ الفكر الاسلامي ومنشأ الخلاف حول أصالته أظهر صورا أخرى للخلاف تتعلق بمسألة تسمية هذا التراث هل هو تراث فلسفي عربي استنادا إلى أنّ اللغة العربية كانت لغة الانتاج الفلسفي لأنها تحاكي لغة القرآن ومنهجه و تشريعه أم أنّ هذا التراث يعد فلسفة اسلامية من حيث أنّ متحليها و كبار شخصياتها كان معظمهم من شعوب اسلامية غير عربية.

لكن ما يهمنا في هذا الطرح هو نشوء هذه الفلسفة في أحضان العرب ودونت بلغتهم فهو تراث عقلي فلسفي عربي أصيل وجوده مرهون بالعربية و مدين للجنس العربي من حيث أنهم شكلوا الدعامة الأولى للحضارة وحملوا لواء نشر الدين والثقافة الاسلامية أي كونهم الرواد الأوائل للثقافة الاسلامية، فالفلسفة الاسلامية في مجملها ليست سوى مجموعة آراء ومواقف مفسرة للنصوص الدينية تفسيرا عقليا بحيث تدور حول مشكلات الدين الأساسية كالتوحيد والخلق والمعاد و

11 - محمد أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي في الاسلام، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1992، ص14.

12 - محمد على أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي، بتصرف ص15.

تستهدف غاية دينية بحثة ولئن تلقوا تيارات الفكر الفلسفي الاجنبي واليوناني على وجه الخصوص فإنهم حاولوا التوفيق بينه وبين معتقداتهم الاسلامية فكانت لهم مواقف فلسفية خاصة تميزت بحلول مبتكرة ذات طابع فكري حر وجاءت متأثرة بالمناخ العقلي الاسلامي<sup>13</sup> أي أنهم احتكموا إلى مرجعياتهم الدينية في الطرق الفلسفية خاصة وأن الفلسفة في الاسلام هي التأمل وهي الحكمة، وقد نص الشارع الحكيم في كثير من الآيات على هذا الفعل وكان القرآن قد سطر لهم منهجا قويمًا في التفلسف مما يجعلنا نسلم بمكانة ومنزلة الفلسفة العربية في الفكر الانساني وهي ليست امتداد بل ابتكار وابداع.

#### 4. أصالة التفكير الفلسفي عند العرب:

لقد خاض كثير من المفكرين في مسألة أصالة التفكير الفلسفي عند المسلمين وأنه مجرد نقل للتراث اليوناني، وهذه الطائفة تبني آراءها على أساس دعوة عنصرية تشكك في قدرة العقل العربي على التفلسف وترى أنه ليس في مقدور العرب أن يتفلسفوا لأنهم من الجنس السامي، وهذا الجنس لا قدرة له على تناول الأمور المجردة بينما شعوب الجنس الآري واليونانيون القدماء هم وحدهم أصحاب المقدرة على ذلك.

وقد أثار هذا الطرح كثير من المستشرقين فكان الكونت جوبينو أول من أثار هذه المشكلة وميز الجنس الآري عن الجنس السامي بصفة عامة وكارل هينريش بيكر الذي يرى بأن الفلسفة الاسلامية تخضع للطبيعة الخارجية فتفنى الذوات الفردية، أما الروح اليونانية فتمتاز بالفردية و احترام الذاتية وهما محك النظر الفلسفي ولهذا كان اليونانيون أقدر على التفلسف من المسلمين.

وبناءً على هذه النتيجة العامة التي ساقها جوتييه يكون العقل السامي عاجزا عن استخلاص القوانين والقضايا ووضع الفروض أو النظريات، ومن ثم فإنه يمتنع عن العقلية الاسلامية أن تنتج آراء علمية أو مذاهب فلسفية وبذلك تكون الفلسفة الاسلامية نوعا من التكرار للفلسفة اليونانية<sup>14</sup>.

وقد أثبتت الحقائق العلمية بطلان هذه الدعاوي فلمذا يشتد الهجوم على نوع واحد من الساميين وهم العرب وعلى الدين الاسلامي وحده و يغفل المهاجمون فلسفة اليهود و تراثهم وهم أيضا ساميون، ثم إن الفلسفة الاسلامية لم تكن وليدة الفكر العربي وحده بل أسهم في انتاجها أفراد من شعوب غير عربية و هذا ما أوقع ادعاءاتهم في تناقض ظاهر

ولئن كان (رينان) هو رأس القائلين بعجز العقلية العربية في الانتاج الفلسفي واكتفائها بتدوين آراء فلاسفة اليونان فقد دافع (دوجا) عن الفلسفة الاسلامية وذكر أن عقلية كعقلية ابن سينا هي صورة العبقورية في ميدان الفكر، وأن آراء المعتزلة والاشاعرة ليست سوى ثمار يانعة من آثار العقل العربي. وطائفة أخرى من المفكرين الغربيين تذهب إلى أن للمسلمين فلسفة جديدة بالبحث تتمثل في محاولة التوفيق بين العقل و الدين و بذلك يتضح أن أصحاب نظرية الجنس الآري وتفوقه لا يمكنها أن تصمد في مواجهة النقد العلمي الجاد فلا يمكن انكار الاصالة الفلسفية عند فلاسفة المسلمين

<sup>13</sup> - نفسه ص 17.

<sup>14</sup> - ينظر محمد على ابو ريان، ص 19-20.

وما قدموه من انتاج فلسفي يتميز بطابعه الفريد فقد تناولوا ما نقل إليهم من تراث اليونان بالدراسة، وصبغوه بالصبغة الاسلامية وفق مذاهبهم وذلك بعد هضمه واستيعابه<sup>15</sup>.

ولم تكن مسألة التفلسف العربي محل نقاش عند المستشرقين والغربيين فقط بل تناولها أيضا مفكري العرب بين مؤيد ز معارض فقد نفى الجاحظ التفلسف عن العرب في نص طويل جاء في البيان والتبيين<sup>16</sup> يرى فيه أن العرب ليس في مقدورهم أن يتفلسفوا لأن الفلسفة انتاج عقلي يحتاج إلى امعان الفكر، ولهذا فقد برعوا فقط فيما يحتاج إلى بديهة حاضرة كعلوم اللسان وفنون القول من نثر وشعر.

أما الشهرستاني صاحب الملل والنحل يقرر وجود نوع من الحكمة عند العرب متمثلة في الحكم القصيرة و الأمثال المركزة و يعقد مقارنة بين العرب و الهنود وقدرة العرب على التفلسف إذ العرب مثلهم كمثل الهنود في استطاعتهم أن يتفلسفوا، إذ يقول: "إنّ العرب والهند يتقاربان على مذهب واحد وأكثر ميلهم إلى تقرير خواص الأشياء والحكم بأحكام الماهيات والحقائق واستعمال الأمور الروحانية"<sup>17</sup> ومعنى ذلك أن العرب كالهنود يميلون إلى الأحكام الكلية والأمور العقلية والمجردات يعني تناول موضوعات الفلسفة وقضاياها.

أما ابن خلدون فقد قسم العلوم إلى عقلية ونقلية يستطيع الانسان أن يقف عليها بطبيعة فكره ولا فرق بين عربي وعجمي بصدد هذا إلا من حيث الظروف المكانية والزمانية التي ينشأ كل منهما فيها<sup>18</sup>، وهذا يعني أنه بمقدور كل انسان أن يتفلسف، إذ أنّ الفلسفة ليست خاصة بشعب أو بجنس معين ولكنها من جملة الصنائع التي يحذقها اهل الحضارة والعمران، ولهذا لم تكن للعرب فلسفة في جاهليتهم، إذ لم تترتب لديهم ملكات خاصة بهذا الصدد وهم على حال البداوة، ولما تحضّروا إبان الحكم العباسي مالوا إلى شؤون الملك والرياسة وتركوا العلم للأعاجم، ولذلك فإن أكثر حملة العلم من العجم أو ممن تتلمذوا عليهم<sup>19</sup>، وليس ذلك لعلّة كامنة في طباع العرب وإنما يرجع ذلك إلى أنّ العجم قد بدأوا حضارتهم قبل العرب.

وقد برع فلاسفة الاسلام في تناول الفلسفة اليونانية وصارت لهم فلسفة خاصة خالفوا فيها كثيرا من آراء المعلم الأول<sup>20</sup>. فكيف للمستشرق (جولدزيهر) المنكر لأصالة القياس الفقهي عند المسلمين بزعمه أن المسلمين استفادوا كثيرا من الاحكام الفقهية التي كانت تصدرها المحاكم الرومانية في بيروت قبل الفتح الاسلامي و أن الفقيه الأوزاعي هو خير دليل على هذا التأثير ليثبت أن نظرية القياس الفقهي قد وفدت على المسلمين من فقهاء الرومان، فالراي ضعيف لا يحتاج إلى

<sup>15</sup> -نفسه، ص 20-21.

<sup>16</sup> - مما جاء في نص الجاحظ قوله: " لليونان فلسفة ومنطق، وفي الفرس خطباء إلا أن كل كلام الفرس، وكل معنى للعجم فإنما هو عن طول فكرة، وهن اجتهاد وخلوة وعن مشاورة ومعاونة ومن طول التفكير ودراسة الكتب وحكاية الثاني علم الاول، وزيادة الثالث في علم الثاني حتى اجتمعت ثمار تلك الفكر عند آخرهم، وكل شيء للعرب فإنما هو بديهة و ارتجال وكأنه إلهام." الجاحظ، البيان والتبيين ج3، ص15.

<sup>17</sup> - الشهرستاني، الملل والنحل ص3

<sup>18</sup> -ابن خلدون عبد الرحمن المقدمة، ص417.

<sup>19</sup> -نفسه، ص499.

<sup>20</sup> -ابن خلدون، المقدمة، ص419.

كول محاجة كما يرى محمد على أبو ريان فأولاً لم تصلنا مؤلفات الأوزاعي حتى تثبت صحة هذا الرأي، ثم إن النصوص المتفرقة التي نسبت إلى الأوزاعي تنم عن اتجاه فقهي مالكي واضح<sup>21</sup>.

و ذهب المستشرق فون كرىمر إلى أن نظرية القياس الفقهية التي طبقها فقهاء المسلمون كابن حنبل والشافعي و ابن تيمية وغيرهم إنما ترجع إلى أصل يهودي وأن لفظ (القياس) موجود في اللغة العبرية و دافع عن هذا الطرح المستشرق (برنشفيج) أستاذ الدراسات الإسلامية في السوربون، وقد أظهر الدكتور محمد على أبو ريان ضعف هذا المأخذ استناداً إلى ما انتهت إليه الدراسات التاريخية حول أصول اللغات قائلًا: فاللغتان العربية والعبرية ترجعان إلى أصل واحد، فهما من مجموعة اللغات السامية، وما دام الاستمداد اللغوي واحدا فلا مشاحنة إذا في وجود لفظ واحد في لغتين متفرعتين على أصل واحد وبالتالي لا وجه للقول باستمداد احدي اللغتين من الأخرى ويبقى إذن أنّ لفظ قياس أصيل في العربية كما هو أصيل في العربية وبذلك تسقط دعوى (فون كرىمر) و(برنشفيج)<sup>22</sup>.

## 5. خائص الفلسفة العربية وأوجه التشابه بينها وبين فلسفة اليونان:

لاشك أن الفلسفة العربية قد تأثرت بالفلسفة اليونانية أو يمكن أن نعتبرها من أهم روافدها فقد نسج العرب على منوال أفلاطون وأرسطو وأفلوطين وأخذوا عنهم آراءهم لكن هذا التأثير أو الامتزاج لا يخفي ملامح الفلسفة العربية الخاصة فالتيارات الفكرية المتعددة التي شغلت العرب جعلت فلسفتهم مشابة للفلسفة اليونانية في أصولها ومبادئها ومبانيها لها في مقاصدها وغاياتها فبينما نجد الكندي و الفارابي و ابن سينا و ابن رشد يقلدون أفلاطون وأرسطو نجد الغزالي و ابن خلدون يتبعان كل البعد عن أصول الفلسفة اليونانية .

إن الفلسفة العربية هي فلسفة عقلية كالفلسفة اليونانية لأن معظم فلاسفة العرب يعتقدون أن العقل قادر على إدراك الحقيقة ، ولئن كان ابن رشد مفتونا بأرسطو ومعظما له لكن تبقى الفلسفة العربية وإن شربت من نبع اليونان واستمدت منه كثير من عناصرها فإن كيفية استخدامها لهذه العناصر والغايات منها مختلفان، فالذي ينظر إلى المبادئ يجد الفلسفة العربية و الفلسفة اليونانية متفقتين، والذي ينظر إلى الغايات والمقاصد يجد بينهما اختلافا كبيرا<sup>23</sup>.

## 6. خاتمة:

وفي الختام يمكننا القول أن اصالة الفكر الفلسفي الاسلامي و العربي لا تبطله شكوك المستشرقين و المؤرخين لتاريخ العلوم؛ فالذي لا خلاف فيه هو أن المسلمين قد تدرجوا في طلب المعرفة منذ بداية عهدهم بالتحضر فاقبلوا في صدر الاسلام على علوم القرآن والسنة و برعوا في ضبط المعارف القرآنية، وتطرقوا على الاحكام الفقهية ومناقشة قضايا الدين و الدفاع عنها في مواجهة الخصوم، فنشأ علم الفقه وكذلك نشأ علم الكلام، وتعمق المسلمون في مشكلات العقيدة و في

<sup>21</sup> -ينظر محمد على أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي، ص28.

<sup>22</sup> - محمد على أبو ريان تاريخ الفكر الفلسفي، ص27.

<sup>23</sup> -جهيل صليبا، تاريخ الفلسفة العربية، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، 1989، ص24.

احكام الدين الاسلامي فنشا علم أصول الفقه، كما توصل المسلمون بدون أي عون خارجي إلى استنباط الاحكام الفقهية لأنها نابعو من مذاهبهم الدينية ومن عباداتهم و رحم عاداتهم وبلغوا في كل هذا مبلغ الكمال والنضج.

ثم يأتي الدور على فلسفة اليونان بعدما ترجمت لهم فأقبلوا على دراستها و تفهموا مشكلاتها و نسجوا على منوالها لكن في محاولة منهم للتوفيق بينها وبين الدين وقد وجدتهم هذه الفلسفة قد وصلوا إلى مراتب عليا من الفكر و الثقافة والممارسة الفلسفية ونضجت العقلية الاسلامية إلى المستوى الذي تستطيع أن تنتج فلسفة أصيلة، ولو لم تتح لهم فرصة الاحتكاك بالموروث الفلسفي الاغريقي فإن هذا لن يوقف عجلة البحث و التطور لديهم بل ربما كان من الممكن أن ينطلق العقل الاسلامي بدون هذا الموروث إلى مداه ليصنع فكرا فلسفيا خالصا واصيلا ويقطع كل دعاوي الشك و القدح التي طالته.

فالفلسفة الاسلامية نبعت من صميم البيئة الاسلامية بعد طول تدبر في القرآن و أساليبه و الحديث و جوامعه نشأ علم إسلامي أصيل هو علم أصول الفقه الذي ظهرت في رحابه المذاهب الكلامية، وجاءت الفلسفة اليونانية كي تجد أرضا خصبة وعقلية فلسفية اكتملت لديها جميع أسباب النظر الفلسفي فلم يكن تيار الفلسفة اليونانية سوى رافد اندفع لكي يلتقي مع المجرى الكبير بدافع حتمية التأثير الثقافي و شغف التطلع إلى علوم الامم الأخرى بدافع التأثير الثقافي المتبادل فأقبل المسلمون على التراث اليوناني مستعرضين قضاياها بأسلوب منهج المقارنة لا بأسلوب المتعلم أو الجاهل فرفضوا ما يتعارض مع الدين و أقبلوا على كل منهج قويم في الطرح يقوي نمطهم في التأليف والابتكار.

### المراجع:

- سامي النشار- نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام- دار المعارف-القاهرة- ج1.
- أ.وولف، عرض تاريخي للفلسفة والعلم-ترجمة محمد عبد الواحد خلاف-دار آفاق القاهرة- ط1- 2017.
- ارسطوطاليس- مابعد الطبيعة- دار الينايع دمشق- 2008، مقالة6.
- يزيدي محمد تقي- المنهج الجديد في تعليم الفلسفة-دار التعارف بيروت 2007.
- فضل الله هادي-المدخل إلى الفلسفة-دار المواسم -بيروت- 2004.
- الصدر رضا- الفلسفة العليا- دار الكتاب اللبناني- بيروت- 1986.
- على طالب- أضواء في طريق الفلسفة، إطلالة عامة على مسيرة التفكير الفلسفي منذ بداياته حتى نهاية العصر الوسيط-دار الولاء -بيروت- لبنان- ط1ن 2017.
- جيرار ليكلرك- العولمة الثقافية الحضارات على المحك-ترجمة جورج كتورة- دار الكتاب الجديد المتحدة- بيروت لبنان- ط1- أيلول سبتمبر 2004.
- محمد أبو ريان- تاريخ الفكر الفلسفي في الاسلام-دار المعرفة الجامعية- الاسكندرية- 1992.

الجاحظ أبو عمرو عثمان بن بحر- البيان والتبيين- تحقيق عبد السلام محمد هارون- مكتبة الخانجي بالقاهرة- ط7- 1998- ج3.

- الشهرستاني ابي الفتح محمد- الملل والنحل - تحقيق أمير على مهنا- على حسن فاعود- دار المعرفة بيروت- لبنان- ط3- 1993.

- جميل صليبا- تاريخ الفلسفة العربية- الشركة العالمية للكتاب- بيروت- 1989.